

## الإثنوغرافيا الرقمية كمدخل منهجي حديث للدراسة والتحليل في البيئة الرقمية:

### بين الإمكانيات التحليلية وإشكالات التوظيف

## Digital ethnography as a modern methodological approach to study and analysis in the digital environment: between analytical possibilities and the challenges of its application

لامية رقان \*

جامعة مولود معمري تيزي-وزو (الجزائر)، الإيميل المهني: lamia.reggane@ummtto.dz

تاريخ النشر: 2026/06/28

تاريخ قبول النشر: 2026/06/15

تاريخ الإستلام: 2026/04/20

### ملخص:

يشهد البحث العلمي في ظل التحولات الرقمية المتسارعة إعادة تشكيل عميقة في مناهجه وأدواته، حيث برزت المقاربات الرقمية كبدايات منهجية تتجاوز الأطر التقليدية، ومن أبرزها المقاربة الإثنوغرافية الرقمية التي أصبحت تمثل مدخلا نوعيا لفهم السلوكيات والتفاعلات داخل المجتمعات الافتراضية. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل مكانة الإثنوغرافيا الرقمية ضمن المناهج الحديثة، واستكشاف مدى إسهامها في تفعيل أدوات البحث العلمي في البيئة الرقمية، مع الوقوف عند حدودها المنهجية وإشكالات توظيفها. تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي مدعما بمقاربة نقدية، من خلال تفكيك المفاهيم المرتبطة بالإثنوغرافيا الرقمية، واستعراض أهم تطبيقاتها في دراسة الفضاءات الرقمية، خاصة في سياقات الإعلام والاتصال. كما تسعى إلى إبراز التحولات التي أحدثتها هذه المقاربة على مستوى جمع البيانات، من خلال الانتقال من الملاحظة الميدانية التقليدية إلى الملاحظة الرقمية التفاعلية، وعلى مستوى تحليل المعطيات عبر تتبع التفاعلات والسلوكيات داخل المنصات الرقمية. وتخلص الدراسة إلى أن الإثنوغرافيا الرقمية، رغم ما توفره من إمكانيات تحليلية مهمة لفهم الديناميات الاجتماعية في البيئة الرقمية، إلا أنها تطرح جملة من التحديات المرتبطة بالمصادقية، وأخلاقيات البحث، وحدود التمثيل الواقعي للظواهر المدروسة، مما يستدعي ضرورة تأطيرها ضمن إطار منهجي صارم يضمن جودة البحث العلمي وموثوقية نتائجه.

**الكلمات المفتاحية:** الإثنوغرافيا الرقمية؛ البحث العلمي؛ البيئة الرقمية؛ المقاربات الحديثة.

### Abstract:

In light of rapid digital transformations, scientific research is undergoing a profound reshaping of its methodologies and tools. Digital approaches have emerged as methodological alternatives that transcend traditional frameworks, most notably digital ethnography, which has become a qualitative approach to understanding behaviors and interactions within virtual communities. This study aims to analyze the place of digital ethnography within modern methodologies and explore its contribution to activating scientific

research tools in the digital environment, while also examining its methodological limitations and the challenges of its application.

The study employs a descriptive-analytical approach supported by a critical perspective. It deconstructs the concepts associated with digital ethnography and reviews its most important applications in studying digital spaces, particularly in the contexts of media and communication. It also seeks to highlight the transformations this approach has brought about in data collection, through the shift from traditional field observation to interactive digital observation, and in data analysis by tracking interactions and behaviors within digital platforms.

The study concludes that digital ethnography, despite providing important analytical capabilities for understanding social dynamics in the digital environment, poses a number of challenges related to credibility, research ethics, and the limits of realistic representation of the phenomena studied, which necessitates framing it within a strict methodological framework that ensures the quality of scientific research and the reliability of its results.

**Keywords:** Digital ethnography; scientific research; digital environment, modern approaches.

## 1. مقدمة:

شهد البحث العلمي خلال العقود الأخيرة تحولات عميقة بفعل التطور المتسارع للتكنولوجيا الرقمية، الأمر الذي انعكس بشكل مباشر على طبيعة المعرفة العلمية وآليات إنتاجها. فقد أدى الانتشار الواسع للمنصات الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي إلى بروز فضاءات تفاعلية جديدة، لم تعد مجرد أدوات للتواصل، بل تحولت إلى مجتمعات افتراضية تشكل داخلها أنماط مختلفة من السلوك الاجتماعي والتفاعل الرمزي، وهو ما فرض على الباحثين إعادة النظر في المناهج التقليدية التي كانت تعتمد أساساً على الملاحظة المباشرة والمعايشة الميدانية في البيئات الواقعية.

وفي ظل هذه التحولات، برزت الحاجة إلى تطوير مقاربات منهجية قادرة على استيعاب طبيعة الفضاءات الرقمية، حيث أصبحت الظواهر الاجتماعية والسياسية والثقافية تشكل بشكل متزايد داخل البيئات الافتراضية. ومن هذا المنطلق، ظهرت الإثنوغرافيا الرقمية كامتداد منهجي للإثنوغرافيا التقليدية، لكنها في الوقت ذاته تمثل تحولا نوعيا في طريقة دراسة المجتمعات، إذ لم يعد الباحث مضطرا إلى التواجد الفيزيائي داخل مجتمع الدراسة، بل أصبح بإمكانه تتبع التفاعلات الرقمية وتحليل الممارسات الاجتماعية التي تشكل عبر المنصات الرقمية المختلفة.

وتكتسب المقاربة الإثنوغرافية الرقمية أهميتها من قدرتها على تقديم فهم عميق للسلوكيات الرقمية التي تتسم بالديناميكية والتغير المستمر، خاصة في ظل تنامي دور المجتمعات الافتراضية في تشكيل الرأي العام وإعادة إنتاج المعاني الاجتماعية. كما أن هذه المقاربة تتيح للباحث إمكانية دراسة الظواهر الاجتماعية في سياقها الطبيعي داخل الفضاء الرقمي، بما يسمح بفهم التفاعلات الرمزية وأنماط التواصل التي يصعب رصدها عبر المناهج التقليدية.

غير أن توظيف الإثنوغرافيا الرقمية في البحث العلمي لا يخلو من تحديات منهجية وأخلاقية، تتعلق بطبيعة البيانات الرقمية، وحدود تمثيل المجتمعات الافتراضية للواقع الاجتماعي، إضافة إلى إشكالات الخصوصية وأخلاقيات البحث في البيئة الرقمية. وهو ما يطرح تساؤلات جوهرية حول كيفية تفعيل هذه

المقاربة بشكل منهجي يضمن الدقة العلمية، ويعزز موثوقية النتائج البحثية في ظل بيئة رقمية تتسم بالتعقيد والتغير المستمر.

وانطلاقاً من ذلك، تسعى هذه الدراسة إلى إبراز الإثنوغرافيا الرقمية كمقاربة منهجية حديثة في البحث العلمي، وتحليل إمكاناتها في دراسة المجتمعات الافتراضية، مع الوقوف عند أبرز التحديات التي تواجه توظيفها في البيئة الرقمية، بما يساهم في تعزيز فهم التحولات التي يشهدها البحث العلمي في العصر الرقمي، وفتح آفاق جديدة أمام تطوير المناهج البحثية المعاصرة.

## 2. الإطار المفاهيمي للمنهج الإثنوغرافي وخصائصه في البحث الكيفي

تشير مراجعة الأدبيات العلمية إلى وجود صعوبة في تقديم تعريف دقيق وموحد للمنهج الإثنوغرافي، ويرجع ذلك إلى خصوصية هذا المنهج من حيث تصميمه ومرونة أساليب تطبيقه في الميدان. فالإثنوغرافيا لا تقوم على خطوات جامدة أو إجراءات محددة سلفاً، بل تتشكل تدريجياً وفق طبيعة الظاهرة المدروسة وسياقها الاجتماعي، الأمر الذي أدى إلى تعدد تعريفاتها واختلاف تصورات الباحثين حولها. وفي هذا السياق، يرى "زيتون" أن المنهج الإثنوغرافي يقوم أساساً على وصف الواقع الاجتماعي واستخلاص الدلالات من خلال الملاحظة المباشرة للظاهرة محل الدراسة، وهو ما يتطلب من الباحث معاشة فعلية للميدان والانخراط في مجتمع الدراسة، بحيث يتحول إلى ملاحظ مشارك يسعى إلى فهم الظاهرة من داخلها. ويجعل ذلك من البحث الإثنوغرافي مقاربة تقع بين البحث الكيفي الذي يهدف إلى الفهم العميق للظواهر الاجتماعية، والبحث الإجرائي الذي يسعى إلى الفهم مع إمكانية الإسهام في إحداث التغيير.

من جهة أخرى، يعرف "سميث" و"ديلامونت" المنهج الإثنوغرافي باعتباره أسلوباً يهدف إلى وصف ثقافة مجتمع معين من خلال دراسة الظواهر في سياقها الطبيعي، حيث يعتمد الباحث على جمع البيانات النوعية، مثل الكلمات والصور والتفاعلات، ثم تحليلها بطريقة استقرائية مع التركيز على المعاني التي يقدمها المشاركون أنفسهم. ويعكس هذا التعريف الطابع التفسيري للإثنوغرافيا، الذي يركز على فهم التجارب الإنسانية في سياقها الاجتماعي والثقافي.

كما يشير "مايلز" و"هوبرمان" إلى أن البحث الإثنوغرافي يسعى إلى الكشف عن الجوانب غير الظاهرة أو المسكوت عنها داخل الظواهر الاجتماعية أو التربوية، من خلال مشاركة الباحث الفعلية في مجتمع الدراسة. ويعد الباحث في هذا السياق الأداة الأساسية لجمع البيانات وتحليلها، حيث يعتمد على الوصف الكيفي باستخدام اللغة والتعبير بدلاً من الأرقام والمؤشرات الإحصائية، مع التركيز على أدوات مثل الملاحظة بالمشاركة والمقابلات المفتوحة المتعمقة، بما يسمح بتقديم وصف غني ودقيق للظاهرة المدروسة؛ وينطلق المنهج الإثنوغرافي من خلفية فلسفية تختلف عن المناهج التقليدية، خاصة المناهج الكمية التي تسعى إلى تفسير الظواهر من خلال تحديد العلاقات السببية والتنبؤ وتعميم النتائج. في المقابل، يركز المنهج الإثنوغرافي على الفهم والاستكشاف وتحليل السلوك الإنساني من خلال التفاعل المباشر بين الباحث والمبحوثين، بهدف التعرف على مشاعرهم وأفكارهم ومعتقداتهم في سياقها الطبيعي. ومن خلال هذا التوجه الكيفي، ينتج المنهج الإثنوغرافي معرفة نوعية تختلف في طبيعتها عن المعرفة الناتجة عن البحوث الكمية، حيث تعتمد على التفسير العميق للواقع الاجتماعي بدل القياس الإحصائي للظواهر (دهان، 2017، الصفحات 33-34).

## 3. الإثنوغرافيا الافتراضية ونشأتها

شهد مجال تكنولوجيا الإعلام والاتصال تحولات كبيرة أدت إلى بروز نوع جديد من الإثنوغرافيا، أطلق عليه الباحثون مصطلح الإثنوغرافيا الافتراضية ((Virtual Ethnography، حيث أصبح المنهج الإثنوغرافي أداة مناسبة لدراسة العلاقات الافتراضية بين مستخدمي خدمات شبكة الإنترنت. وقد أدى هذا التطور إلى إعادة التفكير في الطرق التقليدية لتطبيق الإثنوغرافيا، لتتلاءم مع طبيعة الدراسات الجديدة في مجالات الشبكات الرقمية، المجتمعات الافتراضية، خدمات الإنترنت، والشبكة العنكبوتية. ويكمن التحول الأساسي في الانتقال من دراسة الأماكن الواقعية إلى دراسة الأماكن الافتراضية، مما استدعى تعديل الخطوات والمنهجيات والأدوات التقليدية لتصبح فعالة في فهم الظواهر التكنولوجية الحديثة. وتعرف المقاربة الإثنوغرافية المطبقة على مستخدمي الوسائط الرقمية بعدة تسميات، منها: إثنوغرافيا الفضاء الرقمي (Cyberspace Ethnography)، والإثنوغرافيا الرقمية ((Digital Ethnography، وإثنوغرافيا الويب ((Webnography، وإثنوغرافيا الشبكات ((Nethnography، وإثنوغرافيا الإنترنت ((Internet Ethnography، بالإضافة إلى إثنوغرافيا وسائل التواصل الاجتماعي ((Social Media Ethnography. ويعكس هذا التنوع في المصطلحات اختلاف السياقات البحثية وطبيعة استخدام كل مقاربة، رغم تداخل المجالات البحثية إلى حد يصعب معه رسم حدود دقيقة بين بعضها البعض. ومن الناحية المنهجية، تظهر هذه الطرق الإثنوغرافية تشابها كبيرا، حيث تستند جميعها إلى المبادئ الأساسية للإثنوغرافيا التقليدية كما عرفت الأثنوبولوجيا، مع ضرورة تكييفها لمواكبة التطورات التكنولوجية الحديثة. وبسبب حداثة هذه الدراسات الرقمية، ما تزال مقارباتها المنهجية تحت الاختبار والتكيف، بهدف الوصول إلى نموذج منهجي متكامل ينسجم مع دراسة الظواهر الإعلامية والاتصالية الجديدة، التي تمثل جزءا أساسيا من التحولات الاجتماعية المرتبطة بانتقال المجتمعات من المجال الواقعي الطبيعي إلى الفضاء الافتراضي (بصيص و قدي، 2022، الصفحات 84-85). تهدف النانثوغرافيا إلى نقل استخدام المنهج الإثنوغرافي من دراسة المجتمعات الواقعية إلى تحليل المجتمعات الافتراضية التي نشأت في ظل التطورات المتسارعة لتكنولوجيا الإعلام والاتصال. فبعد أن كان البحث الإثنوغرافي التقليدي يركز على دراسة الجماعات الاجتماعية والثقافية من خلال العمل الميداني المباشر، معتمدا على الملاحظة بالمشاركة ومعايشة الباحث لأفراد المجتمع المدروس بهدف وصف ممارساتهم وتأويل تفاعلاتهم ضمن سياقهم الثقافي والاجتماعي، أدى انتشار شبكة الإنترنت وتعدد تطبيقاتها الرقمية إلى ظهور فضاءات اجتماعية جديدة موازية للواقع، عرفت بالمجتمعات الافتراضية. وقد أتاحت هذه المجتمعات للأفراد ممارسة أنشطة اتصالية متعددة والتفاعل فيما بينهم دون التقيد بحدود الزمان والمكان، الأمر الذي جعلها محط اهتمام الباحثين، ودفعهم إلى محاولة تكييف المنهج الإثنوغرافي بما يتلاءم مع طبيعة البيئة الرقمية. ونتيجة لذلك، شهدت خصوصيات البحث الإثنوغرافي تحولات مهمة، حيث لم يعد ميدان البحث يقتصر على المجال الواقعي، بل امتد ليشمل الفضاءات الافتراضية التي أصبحت مجالا جديدا للدراسة والتحليل. كما أن أداة الملاحظة بالمشاركة، التي تعد من الركائز الأساسية في البحث الإثنوغرافي التقليدي، أخذت بدورها أشكالاً مختلفة في النانثوغرافيا، إذ أصبح الباحث يراقب ويتفاعل مع المبحوثين عبر الوسائط الرقمية، مثل الحاسوب أو الهاتف الذكي أو اللوح الإلكتروني، بدلا من التفاعل المباشر وجها لوجه. وقد أفرز هذا التحول

جملة من التساؤلات المنهجية لدى الباحثين، خاصة فيما يتعلق بكيفية إجراء الدراسات النانوغرافية، وتحديد حدود ميدان البحث، وطبيعة البيانات التي يمكن اعتمادها أو استبعادها، إضافة إلى الإشكالات المرتبطة بسياق الدراسة ومدى مصداقية النتائج المتوصل إليها في البيئة الافتراضية (قزادري، 2021، الصفحات 131-132).

تركز النانوغرافيا على فهم الكيفية التي تؤثر بها الثقافة في سلوك الأفراد، وفي المقابل كيفية إسهام الأفراد أنفسهم في إعادة تشكيل الثقافة وإثرائها، بدلا من الاكتفاء بإبراز الحقائق الاجتماعية من خلال متغيرات إحصائية جامدة أو معاملات رقمية مجردة. إذ تعتمد النانوغرافيا على توظيف المنهج الإثنوغرافي، الذي ارتبط أساسا بدراسة الثقافة وأبعادها داخل المجتمعات الواقعية، وتكييفه لدراسة الممارسات التفاعلية وأنماط التواصل داخل المجتمعات الافتراضية. كما تسعى هذه المقاربة إلى تفسير وتأويل الديناميات المعقدة للحياة اليومية الرقمية، من خلال تحليل التجارب الفردية والجماعية التي يعيشها الأفراد داخل الفضاء الرقمي، بما يسمح بفهم أعمق للمعاني الثقافية والاجتماعية التي تشكل في البيئات الافتراضية (قزادري، 2021، صفحة 133).

#### 4. مبادئ توظيف النانوغرافيا في البيئة الرقمية

اقترحت الباحثة كريستين هين (Christine Hine) مجموعة من المبادئ الأساسية التي تقوم عليها الإثنوغرافيا الافتراضية، والتي تشكل إطارا منهجيا لفهم طبيعة البحث في البيئات الرقمية. ويمكن عرض هذه المبادئ في النقاط الآتية (بصيص و قدي، الإثنوغرافيا الافتراضية واستخداماتها في دراسات الوسائط الجديدة، 2022، الصفحات 88-89):

- 1- تعد الإثنوغرافيا أداة فعالة لدراسة الكيفيات التي يكتسب بها استخدام الإنترنت دلالات اجتماعية، حيث لم يعد الفضاء الرقمي مجرد وسيلة تقنية، بل أصبح مجالا غنيا بالممارسات الاجتماعية المتنوعة التي تستوجب التحليل والدراسة من خلال المقاربات الإثنوغرافية.
- 2- يمكن النظر إلى الوسائط التفاعلية، وعلى رأسها شبكة الإنترنت، باعتبارها فضاء ثقافيا يعكس أنماطا متعددة من الثقافات الإنسانية. فقد أضحت البيئة الرقمية حاضنة لممارسات ثقافية متنوعة، تعرض في شكل محتويات ومضامين رقمية تحمل أبعادا رمزية ومعرفية، وتساهم في إنتاج ثقافة رقمية جديدة.
- 3- تتطلب الإثنوغرافيا الافتراضية درجة من التنقل الافتراضي وأحيانا الواقعي، تبعا لطبيعة الدراسة. فالتنقل داخل الفضاء الرقمي يتيح للباحث متابعة التفاعلات وأنماط التواصل بين المستخدمين، بينما قد يستدعي فهم بعض الظواهر الرقمية الانتقال إلى المجال الواقعي لفهم كيفية استخدام الوسائط الرقمية في الحياة اليومية.

- 4- تعتمد الإثنوغرافيا الافتراضية على الاتصالات الرقمية كبديل للعمل الميداني التقليدي، حيث يمكن للباحث جمع البيانات وإجراء المقابلات والتفاعل مع المبحوثين من خلال الوسائط الإلكترونية، دون الحاجة إلى التواجد الفعلي في موقع جغرافي محدد.
  - 5- لا يمكن الفصل بشكل حاسم بين العالم الواقعي والعالم الافتراضي، إذ يشهد كلا المجالين تداخلا مستمرا، ما يجعل من الضروري التعامل معهما كوحدة تحليلية متكاملة عند إجراء الدراسات الإثنوغرافية الرقمية.
  - 6- تقوم الإثنوغرافيا الافتراضية على المشاركة المتقطعة بدل الانغماس الطويل، حيث يتفاعل الأفراد مع البيئة الرقمية خلال فترات زمنية متفاوتة، وهو ما يستدعي من الباحث مواكبة هذه الأنماط الزمنية المتغيرة أثناء عملية البحث.
  - 7- تتسم الإثنوغرافيا الافتراضية بطابع جزئي وسياقي، إذ ترتبط نتائجها بالسياق المدروس والعينة المختارة، الأمر الذي يحد من إمكانية تعميم النتائج، مع إمكانية الاستناد إلى إطار نظري يوجه عملية التحليل والتفسير.
  - 8- يعزز الانخراط المكثف في التفاعلات الرقمية البعد التأملي للإثنوغرافيا، حيث تزداد أهمية هذه المقاربة كلما ارتفع مستوى التفاعل بين المستخدمين داخل المجتمعات الافتراضية.
  - 9- تتيح الإثنوغرافيا الافتراضية فهما أعمق للإنترنت من خلال التفاعل المباشر مع مستخدميها، ومتابعة أنماط الاستخدام، وتحليل الممارسات الاجتماعية في سياقاتها الرقمية المختلفة، وهو ما يجعلها أداة منهجية ضرورية لفهم المجتمعات الافتراضية.
  - 10- تعد الإثنوغرافيا الافتراضية مقاربة مرنة وتكيفية، إذ تتغير أدواتها وأساليبها تبعا لطبيعة الوسائط الرقمية والمجتمعات الافتراضية المدروسة، مما يتطلب ضبطا منهجيا يتلاءم مع خصوصية كل موضوع بحثي.
- وتبرز هذه المبادئ أهمية النانوغرافيا باعتبارها مقاربة منهجية حديثة تساهم في فهم التفاعلات الاجتماعية والثقافية داخل البيئة الرقمية، في ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها المجتمع المعاصر.

## 5. أدوات جمع البيانات في المنهج النانوغرافي

يعد المنهج النانوغرافي أحد المناهج الكيفية الحديثة التي تندرج ضمن المقاربات البحثية النوعية، حيث يركز على دراسة أنماط التفاعل والسلوكيات داخل المجتمعات الرقمية التي تتميز بخصائص ثقافية واتصالية خاصة. ويعد هذا المنهج امتدادا للمنهج الإثنوغرافي التقليدي، خاصة من حيث خطواته المنهجية والأدوات المعتمدة في جمع البيانات، غير أنه يكييفها بما يتلاءم مع طبيعة البيئة الرقمية وخصوصياتها.

فيقتضي البحث النانوغرافي انخراط الباحث في المجتمع الافتراضي محل الدراسة، من خلال المشاركة في النقاشات والتفاعلات الرقمية، ومتابعة الاتصالات التي تتم بين أفراد المجتمع، إضافة إلى بناء علاقات تواصل معهم قدر الإمكان. ويتطلب هذا النوع من البحث الجمع بين القدرة على قراءة السياقات الرقمية وفهم دلالاتها، وبين الالتزام بالمنهجية العلمية التي تقوم على الملاحظة المنظمة وتحليل المعطيات في إطار علمي دقيق، بما ينسجم مع الأسس المعتمدة في البحث الإثنوغرافي. كما تقوم فلسفة البحث النانوغرافي على المشاركة الفعلية للباحث في أنشطة المجتمع الافتراضي المدروس، إلى جانب ضرورة الإلمام المسبق بالدراسات والأعمال العلمية المرتبطة بموضوع البحث. ويشمل ذلك التعرف على طبيعة المجتمع الرقمي، وفهم لغته الخاصة، ومعايير الثقافة، واهتمامات أفرادها، وأنماط الاتصال والتفاعل السائدة داخله، إضافة إلى كسب ثقة المبحوثين، وهو عنصر أساسي لضمان جودة البيانات ودقة التحليل (لرارة، 2023، الصفحات 108-109).

وفي هذا السياق، يظهر الجدول رقم (01) مقارنة بين أدوات جمع البيانات في كل من المنهج الإثنوغرافي التقليدي والمنهج النانوغرافي.

الجدول رقم 01: مقارنة بين أدوات جمع البيانات في كل من المنهج الإثنوغرافي التقليدي والمنهج النانوغرافي

| أدوات جمع البيانات                 | المنهج الإثنوغرافي                                                                             | المنهج النانوغرافي                                                                                                                                                                              |
|------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| المقابلة/<br>المحادثة<br>الميدانية | محادثة روتينية وعادية<br>مقابلة موجهة أو شبه موجهة<br>إمكانية إجراء المقابلة فردياً أو جماعياً | قراءة اتصالات الأعضاء<br>(المنتديات، الدردشة...) يمكن<br>للباحث إثارة نقاشات لدفع<br>المبحوثين للتفاعل.<br>إمكانية إجراء مقابلة مع فرد أو<br>عدة أفراد في شكل مجموعات<br>افتراضية عبر الانترنت. |
| الملاحظة                           | الملاحظة بالمشاركة                                                                             | ملاحظة بالمشاركة: ملاحظة<br>تفاعلات ومشاعر وتعليقات<br>المبحوثين في مجموعاتهم<br>الافتراضية                                                                                                     |
| تحليل المواد                       | السير الذاتية، الخطابات، قصص الحياة<br>والتجارب                                                | زيارة المواقع الالكترونية التي<br>يرتاها المبحوثون                                                                                                                                              |

المصدر: (لرارة، 2023، الصفحة 109)

## 6. التحديات المنهجية والأخلاقية التي تواجه الباحث في المقاربة الإثنوغرافية في البيئة الرقمية

تواجه المقاربة الإثنوغرافية الافتراضية جملة من العراقيل المنهجية والعملية التي قد تحد من توظيفها في البحث العلمي، خاصة لدى الباحثين الذين اعتادوا على المناهج التقليدية ذات الخطوات المحددة سلفاً. ويعود ذلك إلى طبيعة المنهج الإثنوغرافي الذي لا يقوم بالضرورة على تصميم بحثي صارم منذ البداية، بل يتشكل تدريجياً أثناء التفاعل مع مجتمع الدراسة. فغالبا ما ينطلق الباحث الإثنوغرافي إلى الميدان دون تحديد دقيق للفرضيات أو المتغيرات، مع الاكتفاء أحيانا بتساؤل عام يوجه عملية البحث، على غرار التساؤلات المفتوحة التي تنتمي إلى الأبحاث المنبثقة من الميدان، حيث تتبلور عناصر البحث بشكل تدريجي من خلال الملاحظة والتفاعل مع البيئة المدروسة. وقد تبدو هذه الآلية غير واضحة أو مربكة، خاصة للباحثين ذوي الخلفية الكمية، إلا أن ذلك لا يعني غياب الصرامة العلمية، بل يعكس اختلافاً في طبيعة المنهج الكيفي الذي يعتمد على المرونة والتدرج في بناء المعرفة.

إلى جانب هذه الصعوبات المنهجية، يطرح توظيف المقاربة الإثنوغرافية في الفضاء الافتراضي عدداً من التحديات المرتبطة بطبيعة البيئة الرقمية ذاتها. فالعمل الإثنوغرافي يتطلب عادة تواجداً مطولاً للباحث داخل مجتمع الدراسة، غير أن الفضاء الرقمي يتسم بتجاوز القيود الزمنية والمكانية، حيث قد تتشكل التفاعلات في أوقات غير منتظمة أو يصعب متابعتها بشكل مستمر، الأمر الذي يفرض على الباحث مجهوداً إضافياً لمتابعة الملاحظات وتوثيقها بصورة دورية. كما أن الاعتماد على الإثنوغرافيا الرقمية يستلزم امتلاك مهارات بحثية متقدمة، مثل دقة الملاحظة، وسرعة التدوين، والقدرة على تحليل التفاعلات الرقمية، وهي مهارات قد لا تتوافر لدى جميع الباحثين، خاصة المبتدئين منهم. من جهة أخرى، تبرز التحديات الأخلاقية كأحد أبرز الإشكالات التي تواجه الباحث في الإثنوغرافيا الرقمية، نظراً لارتباط هذا النوع من البحوث بخصوصية المستخدمين داخل الفضاء الافتراضي. فالباحث مطالب باحترام خصوصية المبحوثين، وتجنب التدخل غير المبرر في تفاعلاتهم أو التواصل معهم بطرق قد تعد مزعجة أو غير ملائمة. كما أن الخلفية الفكرية أو القيمة للباحث قد تحد أحيانا من قدرته على الاندماج في بعض المجتمعات الرقمية أو متابعة بعض الأنشطة التي يمارسها أفراد مجتمع الدراسة، إضافة إلى ذلك، تبرز إشكالية ضمان الصدق والموضوعية في البحث الإثنوغرافي الرقمي، نتيجة صعوبة التحقق من هوية المستخدمين، وإمكانية تغير سلوكياتهم عند إدراكهم لوجود ملاحظة بحثية. كما أن الفضاء الرقمي يتيح للمستخدمين إمكانية إخفاء هوياتهم الحقيقية أو تقديم تمثيلات مختلفة لأنفسهم، الأمر الذي قد يؤثر على دقة البيانات المتحصل عليها.

كما تطرح المقاربة الإثنوغرافية الافتراضية إشكالات أخرى تتعلق بطبيعة حضور الباحث في البيئة الرقمية، إذ يختلف التفاعل في الفضاء الافتراضي عن التفاعل في الميدان الواقعي، حيث يمكن للباحث أن يظل غير مرئي خلف الشاشة، وهو ما قد يحد من فهمه العميق للسياق الاجتماعي والثقافي لمجتمع الدراسة. وفي المقابل، قد يثير إعلان الباحث عن هويته إشكالات أخرى مرتبطة بتأثيره المحتمل على سلوك الأفراد داخل المجتمع الرقمي (بجفجوف، 2022، الصفحات 285-286).

وعليه، فإن هذه التحديات لا تقلل من أهمية المقاربة الإثنوغرافية الرقمية، بقدر ما تؤكد الحاجة إلى تأطيرها ضمن إطار منهجي واضح، يراعي خصوصيات البيئة الرقمية، ويضمن تحقيق التوازن بين متطلبات البحث العلمي واحترام الأبعاد الأخلاقية المرتبطة بدراسة المجتمعات الافتراضية.

## 7. خاتمة:

يتضح من خلال هذه الدراسة أن التحولات الرقمية المتسارعة لم تقتصر على تغيير أنماط التواصل والتفاعل الاجتماعي فحسب، بل امتدت لتعيد تشكيل مناهج البحث العلمي وأدواته، الأمر الذي أفرز المقاربة الإثنوغرافية الرقمية بوصفها أحد أبرز المداخل المنهجية القادرة على فهم الظواهر الاجتماعية داخل البيئات الافتراضية. فقد أتاحت هذه المقاربة للباحثين إمكانية تتبع التفاعلات الرقمية، وتحليل الممارسات الثقافية والاجتماعية التي تتشكل عبر المنصات الرقمية، مما ساهم في توسيع مجالات البحث الكيفي وتطوير آلياته بما يتلاءم مع طبيعة المجتمعات الافتراضية.

كما أبرزت الدراسة أن الإثنوغرافيا الرقمية تمثل امتداداً منهجياً للإثنوغرافيا التقليدية، لكنها في الوقت ذاته تحمل خصوصيات جديدة تتعلق بطبيعة الميدان الرقمي، وأدوات جمع البيانات، وأنماط التفاعل بين الباحث والمبحوثين. وقد أدى هذا التحول إلى إعادة صياغة مفاهيم أساسية في البحث الإثنوغرافي، مثل الملاحظة بالمشاركة، والعمل الميداني، وبناء العلاقات البحثية، لتتخذ أشكالاً رقمية تندرج بالمرونة والتكيف مع البيئة الافتراضية.

ورغم ما توفره هذه المقاربة من إمكانات تحليلية مهمة لفهم الديناميات الاجتماعية والثقافية في الفضاء الرقمي، فإنها تطرح في المقابل مجموعة من التحديات المنهجية والأخلاقية، المرتبطة بخصوصية البيانات الرقمية، وصعوبة التحقق من الهوية، وحدود تمثيل المجتمعات الافتراضية للواقع الاجتماعي، فضلاً عن إشكالات الصدق والموضوعية في ظل بيئة تتسم بالتغير المستمر. وهو ما يستدعي ضرورة تطوير أطر منهجية أكثر دقة، وتعزيز الوعي الأخلاقي لدى الباحثين عند توظيف الإثنوغرافيا الرقمية في الدراسات العلمية.

وبناء على ذلك، يمكن القول إن الإثنوغرافيا الرقمية تمثل توجهاً منهجياً واعداً في البحث العلمي المعاصر، يفتح آفاقاً جديدة لفهم المجتمعات الرقمية وتحليل تحولاتها، شريطة توظيفها ضمن إطار علمي منظم يجمع بين المرونة المنهجية والصرامة العلمية، بما يضمن إنتاج معرفة علمية دقيقة تساهم في تفسير التحولات الاجتماعية في العصر الرقمي، وتعزز من مكانة البحث العلمي في مواكبة التطورات التكنولوجية المتسارعة.

وفي الختام نوصي بالتالي:

- تطوير أدوات بحثية ملائمة للفضاء الرقمي، تجمع بين التقنيات الكيفية والتقنيات الرقمية الحديثة، بما يضمن دقة جمع البيانات وتحليلها.
- تشجيع المقاربات المنهجية التكاملية التي تجمع بين الإثنوغرافيا التقليدية والرقمية، لتجاوز محدودية كل منهما وتحقيق فهم أعمق للظواهر المدروسة.
- تعزيز التكوين المنهجي للباحثين في مجال الإثنوغرافيا الرقمية، من خلال إدماجها ضمن البرامج الجامعية والتكوينات البحثية، بما يسمح بفهم خصوصيات البحث في البيئة الرقمية.

- الاهتمام بالجانب الأخلاقي للبحث من خلال وضع أطر واضحة تراعي خصوصية الأفراد وحقوقهم في الفضاء الرقمي، خاصة فيما يتعلق بالموافقة والسرية.
- تعزيز الوعي النقدي لدى الباحث بخصوص طبيعة المعطيات الرقمية وحدودها، وإمكانية تأويلها لتفادي الوقوع في التفسيرات السطحية أو المتحيزة.
- إجراء دراسات تطبيقية ميدانية في البيئات الرقمية العربية، لسد النقص في هذا النوع من الأبحاث، وتقديم نماذج تحليلية مرتبطة بالسياق المحلي.

## 8. قائمة المراجع:

- الزهره بجفجوف. (30 6, 2022). المقاربة الإثنوغرافية في المجتمعات الافتراضية: توجه بحثي معاصر في الفضاء الاتصالي الجديد. المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي، 9.(4).
- الطاهر بصيص، وعبد الرحمان قدي. (6, 2022). الإثنوغرافيا الافتراضية واستخداماتها في دراسات الوسائط الجديدة. الرسالة للدراسات والبحوث الانسانية، 7.(4).
- حياة قزداري. (2021). النانوغرافيا كأسلوب لدراسة المجتمعات الافتراضية. رقمنة الدراسات الاعلامية والاتصالية، 1.(2).
- خالد لراة. (08 03, 2023). النانوغرافيا: نحو مقاربة منهجية جديدة لدراسة المجتمعات الافتراضية. الحوار الثقافي، 11.(03).
- مريم دهان. (1 6, 2017). المقاربة الإثنوغرافية، تعريفها، مميزاتها تقنياتها، وعلاقتها بدراسات الجمهور. تاريخ العلوم، 4.(8).